وصف الطبيعة عند الثعالبي

اعداد

م.م وداديعقوب سلمان

جامعة البصرة– كلية التربية – قسم اللغة العربية

المقدمة :

الوصف في اللغة (النعت) ،واصله الكشف والاظهار (١)، واصطلاحا" :هو فن من الفنون الشعرية اختلف النقاد من قدامى ومحدثين في تعريفه ،فقد عرفه قدامة بن جعفر بأنه :ذكر الشئ بما فيه من الاحوال والهيئات (٢)، ويرى ابن رشيق بأنه :مناسب للتشبيه ومشتمل عليه ، والفرق بين الوصف والتشبيه ،ان الوصف اخبار والتشبيه مجاز وتمثيل (٣) .

والوصف من الفنون الشعرية التي عالجها الشعراء من عصر ما قبل البعثة الى يومنا هذا . فقد ظهر الوصف في الشعر العربي مند وقت مبكر لأن الشاعر حين يعجز عن تداول المعاني يرسمها رسما" (٤) ،ولهذا الفن صلة وثيقة بالفنون الشعرية الاخرى ،فهو يكاد ان يأتي في كل غرض من اغراض الشعر الاخرى كالمدح والهجاء والرثاء والغزل ... الى غير ذلك من الاغراض الشعرية (٥) .

وبعد هده الالمامة السريعة بفن الوصف وطبيعته الفنية وعلاقته بالفنون الشعرية الاخرى ، علينا ان نبين طبيعة هدا الفن عند الثعالبي الناقد والمؤلف والشاعر ايضا" ، وان كان شعره في الغالب عبارة عن مقطوعات قصار الا انه استلهم فيها موضوعات متنوعة نلمس فيها او بعض منها روح الشاعر وخياله ، وان غلب التصنع والتكلف فهذا مرده الى طبيعة البيئة التي عاشها ،وما دمنا بصدد الحديث عن الوصف فأنه قد وقف ازاء موصوفاته مواقف خاصة نستوضحها في الصفحات الاتية :

*وصف الطبيعة

تطور وصف الطبيعة تطورا" واضحا" عما كان عليه في الشعر القديم ، فقد كان الشعراء الاقدمون يصفون الصحراء الموحشة ، اما بعد فبدأوأ يصفون البساتين والرياحين ، وفي العصر العباسي فقد فتنهم الربيع بمظاهره المتعددة ، فشغل حواسهم واثارهم فوصفوا الاشجار والرياض ومختلف الازهار ،وقد لقي شعر الطبيعة في العصر العباسي عناية كبيرة من جمهرة الشعراء ،سواء في ذلك الكبار منهم والصغار ،فما من شاعر الا له فيه شيء (٦) .

ومن المظاهر المتنوعة التي تطرق لها الثعالبي في شعر الطبيعة ووصفها :

١–وصف الربيع :

تطرق الثعالبي مثلما تطرق شعراء عصره الى وصف الربيع ومظاهره المختلفة ،فالربيع ابن الطبيعة بل هو الذي يوحي اليها بأسرار الجمال الذي يصحبه معه فيزين وجه الارض لاثارة المشاعر والاحاسيس ، يقول فيه :

اظن الربيعَ العام قد جاءَ تاجرا" ففي الشمسِ بزازا" وفي الريحِ عطَّارا"
وما العيشُ إلاّ أنْ تواجِهَ وجهَهُ وتقضيَ بينَ الوشيْ والمِسْكِ اوطارا"(٧)

نلحظ هنا انه قد خلع على الربيع الصفات الانسانية ،اذ جعل منه تاجرا" يأتي بالقماش والعطور فشمسه زاهية وريحه عطره .

وفي لوحة فنية اخرى يصور فيها طلعة الربيع البهية ،لما يحمله من نعمة تعم الارض بالخير والنماء حتى تلونت اراضي الصحراء القاحلة بألوانه الزاهية من اخضر واحمر واصفر اشارة الى الخضرة والازهار ، كما تحمل لوحته اشارة الى الخمر وكيف انه يذهب الغم متمثل بلفظة (صهباء)، فقد كان للطبيعة بجمالها وبهجتها وبدائع رياحينها وازهارها اثر كبير في الاقبال على الشرب واللهو، يقول :

طَلَعَ الرَّبـيعُ بطَلْعةِ السرَّاءِ إذ جاءَنا بالنعمةِ البيضاء
فابرز الى الصَّحراءِ في أيَّامِهِ حتّى ترى الغَبْراء كالخَضْراءِ
واشربْ على الحَمْراءِ والصَّفْراءِ من صهْباءَ تُذْهِبُ غُمَّةَ السَّوداءِ
والنُّقلُ من ذكرِ ابنِ مشكان(٨) الذي هو غُرَّةُ الكرماءِ والفضلاءِ(٩)

ويتعرض في اثناء وصف الربيع الى النباتات والازهار بألوانها الزاهية فيقف امام روضة وقد حل الربيع بها فتهز نفسه الشاعرة فيرسم صورة رائعة لتلك الروضة الفاتنة اذ يقول :

في روضةٍ ازهارها مكسوبةٍ والظلُّ من اشجارِها ممدودُ
فيها طرائفُ نرجسٍ وشقائقٍ فكأنهَّا من اعينٍ وخدود (١٠)

ويطالعنا الثعالبي في مقطوعة فيها تصوير فني للمظاهر الطبيعية، حيث الغيم محملا" بالمسك فماؤه يفوح منه العطر الطيب والعنبر، اما الرياض فهي متوجة بأكاليل الورود ، واستعار للارض قميصا" اخضر وطيلسان احمر دلالة على الخصب والنماء فيا لمظهرها الحسن فهذا كله من عظمة الخالق سبحانه وتعالى يقول:

الغيمُ بينَ مُمَسَّكٍ(١١) ومُعَصْفَرِ(١٢) والماءُ بينَ مُصَنْدَلٍ ومُعَنْبَرِ (١٣)
والروضُ بين مُدَمْلَجٍ ومُتَوَّجٍ والوردُ بينَ مُدَرْهَمٍ(١٤) ومُدَنَّرِ(١٥)
والارضُ قد لبِسَتْ قميصاً أخضراً تختالُ فيه بطيلسانٍ احمرِ
لتروقنا بظرَائِفٍ ولطائفٍ من حُسْنِ منظَرها وطيبِ المخبرِ
سبحانَ محي الارضِ بعد مَمَاتها وكذاكَ يُحي الخَلْقَ يومَ المَحشْرِ(١٦)

جاءت هذه اللوحة الفنية وصفاً لجمال الطبيعة واثرهُ في احاسيس الشاعر الوجدانية ،وقد بدت للعيان ظاهرة التشخيص بارزة في تجسيد حركة الارض بملبسها الزاهي ،التي هزت الشاعر فانبرى لوصفها وصفاً حسناً جميلاً .

وقوله :

ويوم عبيريِّ النسيمِ سَبَى طَرْفي وقلبي بما أبدى من الحُسْنِ والظَرَّفِ
كأن مُوَشّى الغيمِ فيهِ مقابلاً مُوشّى الرُّبى والشمسُ تنظرُ من سَجْفِ(١٧)
صدورُ البزاةِ(١٨)البيضِ صُفَّتْ فقابَلَتْ ظهورَ طواويسِ تَدِقُّ عنِ الوَصْفِ
فلما وهى من صِّبِ المُزْنِ عِقدُهُ وأقبلَ يَرْوي غلةَ النَّبتِ بل يَشفْي
رأيتُ به في الروضِ أحْسَنَ منظَرٍ يدلُّ على صُنْعِ المهيمنِ ذي اللُّطفِ
فحليٌ بلا صوغٍ ونسجٌ بلا يَدِ وضحكٌ بلا ثغرٍ ودمعٌ بلا طرفِ(١٩)

جميل منه هذا التصوير الذي بدا في لوحة متكاملة الأطر متناسقة حيث النسيم العذب يسبي العين والقلب لما ابداه من حسنٍ وظرافة ، كما وظف الطيور الجميلة كطير الباز والطاووس ليكمل بهما لوحته ويضيف عليها من الوانهما لمسة خفية تجذب الخيال وتسحره ، هو وكما في تصوير سابق يرى ان هذه النعمة وهذا الصنع من فضل الله (جلّ وعلا) .

وللثعالبي وصفٌ فنيٌ في جمال الصبح وتنفس نوره في حركة ذاتية لها كبير الاثر في اثارة المشاعر الانسانية ، يقول :

باحَ الصباحُ بأسرارِ البساتينِ وأحيتِ النفسَ أنفاسُ الرياحينِ

حتى حسبْت نسيمَ الروضِ أقرأَني كُتْبَ ابنِ مشكانَ عن صدرِالسلاطينِ
فهاتها كشُعاع الشمسِ صافيةً بكراً ربيبةَ ابيات الدَّهاقينِ
نشربْ على ذكرعنوانِ المحاسن قا نونِ الفضائلِ منظور الدواوينِ (٢٠)

والى جانب الازهار والرياض والرياحين فهنالك الثمار ولا سيما الفواكه كالتفاح والنارنج ، يقول في التفاح :

تفاح غزنةَ (٢١) نفَّاعٌ ونفَّاحُ كأنَّهُ الشهدُ والرَّيحانُ والراحُ
وماؤه بادّكارِ الريقِ من قمرٍ في خدَّهِ أبداً وردٌ وتُفَّاحُ (٢٢)

في هذين البيتين يصف لنا تفاح غزنه فأنه نافع حلو كالعسل ذو رائحة طيبة كثير الماء .

ومرة اخرى يصف لنا التفاح مستخدماً اسلوب المدح بصيغة حبذا فيراها ذات رؤية حسنة من بين الثمار كما انها توافقه في يقظته ونومه وكأنما اصبحت همه الذي لا يفارقه ومع هذا فإنها تريحه بأوصفاها الممتعة ومرآها الطيب ، يقول :

ياحبذا حُسْنَها ومرآها وحبذا في الثمارِ مَجْناها
تفاحةً في الكرى توافقني وفي انتباهي فصرتُ أهواها
لانّها في المنامِ همة مَنْ يأمَلُ مالاً ويبتغي جاها
وهي بهذي الاوصافِ ممتعةٌ تريحُ روحي بطيبِ مرآها (٢٣)

اما النارنج فيقول فيه :

كأنما النارنجُ للرَّبات(٢٤) ثديُّ ابكارٍمخدَّراتِ
مُزعفراتِ ومعصفراتِ اواكثر الكميخت(٢٥)مُذْهَبَاتِ
قد ضُمِّخَتْ باعنبرِ الفُتاتِ نسيمُها يزيدُ في الحياةِ (٢٦)

٢- وصف الليل :

يعد الليل مظهراً من مظاهر الطبيعة ، ولليل مكانة خاصة عند اغلب الشعراء سواء كان العاشق منهم ام الحائر ام ... فجعلوا منه متنفساً لهمومهم وشكواهم وكانه يشاركهم ويستمع لهم بكل هدوء فربما لسكونه وظلمته سرُّ ذلك .

اما ليل الشاعر كيف كان؟ لنقرأ ما يقول فيه:

وليلٍ بتّهُ رَهْنَ اكتئابِ أقاسي فيهِ أنواعَ العذابِ
اذا شَرِبَ البَعُوضُ دمي وغنّى فللبرُغوثِ رَقْصٌ في ثيابي (٢٧)

يالها من ليلة عصيبة قد مرت عليه فإنه مكتئب ومعذب ، ومع هذا فالبعوض والبرغوث قد زادا عليه الهم .

ولكن ليس كل لياليه هكذا بل على العكس فهنالك ليال جميلة لها بهجة ولها حُسن ولون خاص ، نقرأ ذلك في قوله :

هذهِ ليلةٌ لها بهجة الطـا ووسٍ حسناً ولونُها للغدافِ (٢٨)
رقَدَ الدهرُ فانتبهنا وسارقـ ناهُ حظاً من السرورِالصافي (٢٩)

وليلة أخرى كالمسكِ احياها الشاعر مع البدر يقول :

ياليلةً كالمِسْكِ منظرُها وكذاكَ في التَّشبيهِ مخَبرُها
احيَيْتُها والبدرُ يخدمني والشمسُ أنهاها وآمرُها (٣٠)

وفي ليلةٍ اخرى يقول :

ياليلةً طالتْ كأنَّ نجومَها غُرمَاءُ (٣١) أرقبهُم لدينٍ واجب
والبدرُ كالشيخِ الاجلِّ تمنطقَتْ قُدَّامَهُ الجوزاءُ مثلَ الحاجبِ(٣٢)

جاءت هذه الابيات بصورة حية تصف لنا صورة الليل وتكشف عن قدرة الشاعر التعبيرية عن تلك الاجواء الشعورية التي وقع تحت تأثيرها فوصفها وصفاً جميلاً معبراً عن مشاعره .
وكذلك قوله :

ياليلة هي طولاً كمثلِ شوقي وَوَجْدي
مدَّ تْ سرادقَ وشي(٣٣) على الورى أيَّ مدِّ
نجومُها الزُّهرُ تحكي من حُسْنِها نثرَ عِقْدِ
والأنجمُ الحمرُ منها كالوردِ في اللازوردِ (٣٤)

جاء هذا الوصف في هذه المقطوعة بصورة فنية تترجم لنا تلك الليلة الطويلة مشبهاً اياها بالشوق الطويل ، فالفاظها سهلة رقيقة الا انها ليس فيها صور خيالية بارعة .

قد تكون المبالغة من ادوات الوصف والتصوير ، وقد عرف شعراء العرب المبالغة الى حد يخرج عن دائرة الواقع ، ولكن شاعرنا ينقل لنا رسوماً بحس واثارة وقد يبالغ في الوصف كما نرى ذلك في قوله واصفاً ليلة السد ف (٣٥) :

وليلةٍ ذات اضواءٍ وضوضاءِ تجرُّ اذيالَ لألاءٍ وآلاءِ
تصالَحَ الليلُ فيها والنهارُ على تأليفِ ما بينَ إصباحٍ وإمساءِ
كأنَّما الشمسُ سَكْرى فَهْيَ راجِعةٌ من قبلِ موعِدِها تومي بأضواءِ
كأنَّما الأرضُ شجراءٌ(٣٦)من الذهب الـ إبريز ساميةٌ نحو الغميضاءِ
ياليلة قدُمِّتْ حتى إذا قَدمَتْ عظَّمتُ حُرمَتهَا فعلَ الألبّاءِ
لأنّها بادّكارٍ للأوائلِ من صِيْدِ الملوكِ الأشدَّاءِ الأسِدَّاءِ
قد أطْلَعتْ من عنانِ الراح طلعتهَا وأنطَقَتْ ألْسُنَ العيدانِ والناءِ
ونَبِّهتْ أعينَ اللذاتِ من سِنةٍ والشأنُ في نظمها عقدُ الأحبَّاءِ (٣٧)

٣-وصف القصور والبلدان :

يعد وصف القصور والبلدان جانباً مهماً من جوانب شعر الطبيعة وما يحيط بها من روائع الجمال فوقف الشعراء امامها وحاولوا ان يبدوا اعجابهم بعظمتها وجلالتها بأسلوب واضح والفاظ رشيقة ودقيقة ، كما أن تشجيع الامراء على وصف قصورهم وإظهار عظمتها كان حافزاً موثراً في الشعراء ، وللثعالبي ايضاً نصيب من هذا النوع من الشعر ، يقول في وصف احد قصور خوارزم(٣٨) :

وقصرِ مُلْكٍ ترى كلَّ الجمالِ بهِ وأسْعُدُ الدهرِ تبدو من جوانِبهِ
كأنّما جنةُ الفردوسِ قد نَزَلَتْ الى خَوَارِزْمَ تعجيلاً لصَاحِبِه(٣٩)

وله مقطوعة في وصف غزنة ،حيث يراها داراً لملك الإسلام كما انها كعبة للمجد والعُلا ، يقول :

واهاً لغزنةَ إذ غَدَت للمُلْكِ والإسلامِ دارا
من كعبةٍ قد أصبَحَتْ للمجدِ والعَلْيا مدارا
في صَدْرِها الملكُ الذي قُطبُ السُّعودِ عليهِ دارا (٤٠)

ومقطوعة اخرى في وصف جمال (بشنقان)(٤١) وهي من متنزهات نيسابور (٤٢) يعرض لنا فيها جمالاً وسحراً لا يضاهيه نظير الا في جنات النعيم ، فالاشجار متزينة ومرتدية ابهى ملبس ،فالربيع كساها من حُليّه والماء يروي الورود ويسقيها كما السماء تسقي الارض بأمطارها وبقهقهتها ،تعطي صوتاً وتسقي ابريقاً مداماً والعندليب يشجو ويغرد فيزداد التداخل والاتصال حتى تغدو الطبيعة تثير مواطن الفتنة والجمال كما تثير الانتباه وتستحوذ على مشاعر القلب الا قلبه فهو مع هذه الروعة اسير احزانه ،يقول :

ولما نزلنا البَشْنَقانَ التي غَدَتْ وراحَتْ بجنّاتِ النعيمِ تشبَّهُ
وقد برزَتْ أشجارُها في ملابسٍ ربيعيةٍ حازَتْ مدى الحسْنِ كلَّهُ
وعارَضَنا ماءٌ يروقُ مُصندَلٌ وواجَهَنا وردٌ يشوقُ موجَّهُ
وقهقه رعدٌ في السماءِ مجلجلٌ وفي الارضِ إبريقُ المدامِ يقَهْقِهُ
وغنّى مغني العندليبِ كأنّما يجاوِبُهُ في حلقِهِ مزهرٌ لهُ
تنَّزهَ سمعي ما أرادَ وناظري وقلبي مع الاحزانِ لا يتنزَّهُ (٤٣)

وله مقطوعة في خوارزم يصف فيها شدة البرد اذ يقول :

لله بردُ خوارزمٍ اذا كلِبَتْ أنيابهُ وكَسَتْ أبدانَنا الرَّعَدَا
فالشمسُ محجوبةٌ والريحُ مدميةٌ جلودَ قومٍ أضاعوا الصَّبرَوالجَلَدا
والماءُ مستحجرٌ والكلبُ مُنْجَحِرٌ والزمهريرُ يسوقُ الصَّرَّوالصَّرَدا
فلو تقبَّلُ معشوقاً مخالسةً رأيتَ فاكَ على فيهِ وقد جَمَدا (٤٤)

تظهر المبالغة واضحة في هذا التصوير فالأبدان ترتعش وكأنها ترتعد ، فالشمس محجوبة اشارة الى تلبد السماء بالغيم اما الرياح فهي من شدة برودتها قد سلخت الجلود فاصبحت دامية ، اما الماء فقد تحول الى جليد كناية عن قساوة البرد والكلاب منحجرة في مخبأها كناية اخرى عن شدة البرد ويستحضر ثلاث مفردات(زمهرير ،صّر، صرّدا)وهي تدل على البرد الشديد ليدعم بهم شدة الموقف ،ثم يشير الى اختلاس اللقاء بالحبيب ليحقق بذلك نبرة همس وخفقة احساس .

اما مقطوعته في جرجان(٤٥) فيصف يوماً قد قضاه فيها وهو يوم متقلب الاحوال باختلاف هوائه وهو بهذا الموقف لابد ان يخضع للامر الواقع لأنه من مشيئة الله(عز وجل) التي ليس منها مهرب ،يقول :

ألا ربَّ يومٍ لي بجُرجانَ أرعنٍ ضَحِكْتُ له من خَرْقِهِ أتعجَّبُ
وأخْشى على نفسي اختلافَ هوائِهِ وما لِلفْتَى مما قضى اللهُ مَهْرَبُ
وما خيرُ يومٍ أخرقٍ متلوِّنٍ ببردٍ وحرٍ بعدَهُ يتلهَّبُ
فأولُهُ للفرو والجمرِ مِثْقَبُ وآخرُهُ للثلجِ والخيشِ(٤٦) يضِربُ(٤٧)

٤-وصف الفرس :

وللفرس نصيب هو الآخر ، فقد وصفه الشاعر بأوصاف رائعة والاجمل فيها أنه جاء بأوصاف متعددة في بيتين نقرأ فيها :

قد جادَ لي بأغرَّ أُنْـ عِلَ بالشَّمالِ وبالجنوب (٤٨)
لا بالشموس ولا القمو ص(٤٩) ولا القطوف ولا الشبوب (٥٠)

هذه المقطوعة اعطت لنا تصوراً واضحاً لهذا الفرس فإنه سريع كسرعة الرياح ، كما انه لا احد يستطيع ركوبه ،وقد تجلى هذا المعنى بلفظتي (الشموس،القموص) فإنه فرس مميز وكيف لا وانه هدية الامير اليه (٥١) .

٥- وصف البدر

الكواكب بصورة عامة بما فيها من شمس وقمر ونجم مظهرٌ اخر من مظاهر الطبيعة الذي احتل مساحة واسعة في شعر الوصف وغيره ،وللثعالبي بيتان في وصف البدر وهو في حالة الكسوف يقول فيه :

انظر الى البدر في أَسر الكسوف بدا مستسلماً لقضاء الله والقدَرِ
كأنَّهُ وجهُ معشوقٍ أدَلَّ على عُشَّاقِهِ فابتلاه الله بالشَّعَرِ (٥٢)

في هذين البيتين شبه البدر بوجه المعشوق وهو ينكسف فكيف ان جماله وبهاءه وبياضه الناصع ينحجب ويغشيه السواد ،فكذا وجه المعشوق المتدلل يغطيه الشعر فيحجب جماله .

ونتيجة التطور الحضاري في العصر العباسي فقد شاع في اسلوب الوصف عناصر البديع من محسنات لفظية ومعنوية متمثلة بالتكرار والجناس والطباق وغيرها ، ونلحظ هذا الشيء بوضوح تام عند الثعالبي فجاءت أبياته مرصعة في الغالب مزينة ومزخرفة بألوان الفنون البلاغية الرائعة التي تكسو الكلام جمالاً ورونقاً .

فنلحظ التكرار(٥٣) جاء عنده بأنواع متعددة منها تكرار حركة معينة او تكرار حرف او تكرار كلمة ، امثلة ذلك على الترتيب :

قوله :

بمدامٍ صافٍ وخِلٍ مصافٍ وحبيبٍ وافٍ وسعدٍ موافِ (٥٤)

جاء هذا البيت وكلماته كلها مكسورة .

وقوله :

نحن في شتوتِنا في قلقِ وتمادي شَفَق في فَرَقِ(٥٥)
ليس يخلُو يومُنا والليلُ من لَثَقٍ(٥٦) او زَلَقٍ او دَمَقِ(٥٧)

كرر حرف القاف سبع مرات في بيتين .

وكذلك قوله :

يومٌ بدا من بانة المشيِ ونسيمُهُ يشفي من العَشْيِ
وكأنما الفراش يطرح ما بين الرياض مطارح الوشيِ (٥٨)

كرر حرف الشين خمس مرات في بيتين .

ومثل تكرار كلمة قوله :

وحمام لـه حرُّ الجحيم ولكنْ شابَهُ بـردُ النعيمِ
رأيت به ثواباً في عقاب وزرت به نعيما في جَحيمِ (٥٩)

فقد كرر كلمة (الجحيم – جحيم) و(النعيم _ نعيم). ونلحظ في هذين البيتين أنه جمع بين التكرار والطباق (٦٠) حيث طابق بين (حر ،برد) ،(جحيم ، نعيم) و (ثواب ، عقاب) .

كما نلحظ التصريع (٦١) بـ(الجحيم– النعيم)

وفضلاً عن التكرار والطباق والتصريع نرى عنده "الترادف" (٦٢) ايضاً ، وذلك في قوله عندما يصف يوماص سعيداً من ايام حياته ، يقول فيه :

ويومِ سعدٍ حَسَنِ البِشْرِ عَذْبِ السجايا طيِّبِ النَّشْرِ
لم تَقْذَ عيني بأذاهُ ولم يطرْ فؤادي بيدِ الذُّعرِ
ولم يرُعْني لا ولا سآءَني كعادَةِ الايَّامِ في الشرِّ
شبّهْته منتزَعاً من يد الـ أحداثِ ذاتِ الشرِ والضرِّ (٦٣)

فقد جاء الترادف بـ (الشر ،الضر) ،كما أن مقطوعته جاءت مصرعة بـ (البشر ، النشر) .

وبعد هذا الاستعرض البسيط لهذه النماذج لابد من الاشارة الى نجاح الشاعر او فشله في توظيف هذه الفنون لخدمة المعنى المقصود ويبدو انه قد وفق في احداث توافق دلالي وايقاعي معاً .

الخاتمة :

من كل ما تقدم ندرك ان للطبيعة ميداناً عريضاً في فن الوصف الشعري خاصة ،فهي منبع غني لاستخراج الصور والتشبيهات ، وافق رحب لتحليق الخيال ، ومصدر مهم للاستلهام والاستيحاء فاستحوذت بفضل ذلك على حواس الشعراء واذواقهم وتسربت الفاظها وتعابيرها والوانها الى كل الفنون الشعرية الاخرى ، ولم يقتصر هذا الفن على الطبيعة بما فيها من مظاهر وحسب ، بل قد يتجاوزها الى غيرها من موجودات ايضاً . والثعالبي في وصفه هذا قد نوّع بين ماهو متحرك وساكن فقد وظف الطبيعة وربطها مع مشاعره بصور جميلة وهذا يدل على الامتزاج الشعوري بازاء المنظر الطبيعي ،وكونه شاعراً تقليدياً فكانت طريقته في الوصف انه يفصل في وصف كل جزء من المشهد على حده في الغالب وفي مواضع اخرى وجدناه يصف المشهد بصورة عامة ، وفي احياناً اخرى قليلة يحاول المزاوجة بين الطريقتين ، فكانت طريقته متنوعة نلمس فيها روح التجدد والابداع ، اما ما يخص ميزات اشعاره وجدناها متمثلة بكونها مقطوعات قصاراً لا قصائد طوالاً ، فقد نظم على وزن الرباعية في الاغلب ،بلغة مالت الى البساطة وان كان فيها الغريب وباسلوب رشيق حفل بالبديع والبيان ومن سماته الوضوح والاتكاء على الصنعة العربية في تراكيبه ،ومن المآخذ على اسلوبه هناك مظاهر من التعقيد وهبوط في الخيال .

الهوامش :

١- ينظر :القاموس المحيط ،الفيروز آبادي ،مادة وصف .
٢- نقد الشعر :قدامة بن جعفر ،ص١٣٤.
٣- العمدة، ابن رشيق ،٢٩٤/٢.
٤- فن الوصف ،ايليا حاوي ،ص٨.
٥- ينظر الوصف في شعر العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين ،جميل سعيد ،١٤-١٥.
٦- ينظر وصف الطبيعة وتطوره في الشعر العربي ، بيومي ، السباعي ، ص٤٥.
٧- الديوان ،ص٥٥.
٨- ابن مشكان : ابو نصر كاتب الانشاء للسلطان محمود بن سبكتين الغزنوي وابنه مسعود له كتابة في غاية الجودة توفي سنة ٤٣١هـ . ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الاثير ،٤٧٢/٩.
٩- الديوان ،ص١٦.
١٠-الديوان :ص٤٤.
١١-ممسك :من المسك نوع من انواع الطيب ،ينظر لسان العرب،ابن منظور، مادة مسك .
١٢- معصفر :نبت معروف يصبغ به ،ينظر مجمع البحرين ، الطريحي ، مادة عصفر .
١٣-معنبر :من الطيب المعروف : لسان العرب ،ابن منظور :مادة عنبر .
١٤-مدرهم :الساقط من الكبر ،وقيل هو الكبير السن ،لسان العرب ،ابن منظور :مادة درهم .
١٥-مدنر : سواد يخاطه شهبة ، لسان العرب ،ابن منظور ، مادة دنر .
١٦-الديوان :ص٦٥.

١٧-سجف :الستر اوالخباء ، لسان العرب ،ابن منظور ، مادة سجف .

١٨- البزاة :جمع بازي وهو ضرب من الصقور ابيض اللون :لسان العرب،ابن منظور، مادة بزا .

١٩-الديوان:ص٨٨.

٢٠-المصدر نفسه ،ص١٢٠

٢١-غزنة : ولاية واسعة في طرف خراسان ،ينظر اثار البلاد واخبار العباد ، القزويني ،ص٤٢٨.

٢٢-الديوان :ص٤٠.

٢٣-المصدر نفسه :ص١٢٧.

٢٤-الربات :عصير الفاكهة .ينظر الديوان ،ص٣٤.

٢٥-الكميخت: جلود دواب : ينظر :مصباح الفقيه ،اقا رضا الهمداني، ج١ ق٢ ص٦٥٥ .

٢٦-الديوان :ص٣٤.

٢٧-المصدر نفسه :ص٢٥ .

٢٨-الغدّاف :الشعر الاسود الطويل او الجناح الاسود الطويل ،ينظر : لسان العرب ،ابن منظور، مادة غدف .

٢٩-الديوان :ص٩٠.

٣٠-المصدر نفسه ،ص٥٤.

٣١-غرماء :جمع الغريم وهو الذي عليه دَين ، لسان العرب ،ابن منظور، مادة غرم .

٣٢-الديوان :ص٢٦.

٣٣-وشي :بياض في لون السواد او سواد في لون البياض ،وهو نوع من الاقمشة سمي بذلك لاختلاف الوانه ،ينظر كتاب العين ،الفراهيدي ،مادة وشي ، شرح شافية ابن الحاجب ،رضي الدين الاستراباذي ،٢٨٥/٤.

٣٤-الديوان :ص٥٢، اللازوردي :نسبة للللازورد وهو نوع من الجواهر ،ينظر ، مناقب آل ابي طالب ،ابن شهراشوب ، ٢٦٦/١، معجم البلدان ، ياقوت الحموي ،٢٨٨/٢.

٣٥-ليلة السدف :السدف الظلام،وقيل اختلاط الضوء والظلمة ،كوقت ما بين طلوع الفجر الى الاسفار ،وقيل السدف الصبح واقباله.ينظر:شرح نهج البلاغة ،ابن ابي الحديد ،٢٥٤/٦.

٣٦-شجراء : يقال لمجتمع الشجر ، ينظر كتاب العين ، الفراهيدي ، مادة شجر .

٣٧-الديوان :ص١٤.

٣٨-خوارزم : من بلاد خراسان المعروفة ، ينظر معجم ما استعجم ، البكري ،٥١٥/٢ .

٣٩-الديوان :ص٢٢.

٤٠-المصدر نفسه :ص٥٧.

٤١-بشنقان :ذكرها ياقوت الحموي بشنتقان :ينظر معجم البلدان:٤٢٥/١.

٤٢-نيسابور :مدينة عظيمة من مدن خراسان ،يسميها العامة نيشابور:ينظر معجم البلدان ،ياقوت الحموي ،٣٣١/٥.

٤٣-الديوان :ص١٢٦.

٤٤-المصدر نفسه :ص٤٥.

٤٥-جرجان :مدينة مشهورة عظيمة بالقرب من خراسان :ينظر معجم البلدان ،ياقوت الحموي ،٤٢٥/٢.

٤٦-الخيش :من مشاقة الكتان في نسجها رقةٍ، وجمعه أخياش ،ينظر كتاب العين ،الفراهيدي، ،القاموس المحيط، الفيروز ابادي ، مادة خيش.

٤٧-الديوان :ص١٨.

٤٨-الشمال والجنوب :يقصد بهما ريح الشمال وريح الجنوب .ينظر الديوان ،ص٢٧.

٤٩-الشموس : دابة شموس أي نفور، ينظر لسان العرب، ابن منظور ،مادة شمص ،والقموص : الذي لا يستقر في مكان. ينظرتاج العروس،الزبيدي،٤٢٨/٤.

٥٠-القطوف :الدابة ضاق مشيها وقيل اساءت السير وابطأت ،ينظر تاج العروس ،الزبيدي ،٢٢٣/٦. ، الشبوب :الشبب المسن الذي انتهى اسنانه ،لسان العرب ، ابن منظور ، مادة شبب.

٥١-هذا الفرس اهداه له الامير ابو الفضل الميكالي :عبيد الله بن احمد بن علي بن اسماعيل، المتوفى سنة ٤٣٦هـ ، ينظر: يتيمة الدهر ، الثعالبي ٣٥٤/٤. فوات الوفيات ، ابن شاكر الكتبي ، ٤٢٨/٢.

٥٢-الديوان: ص٦٣.

٥٣-التكرار: ان يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى ام مختلفاً او يأتي بمعنى ثم يعيده ، ينظر: المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ، ابن الاثير ،٣٩٤/٢. وينظر البلاغة والتطبيق ، د. احمد مطلوب ،ص٢٠٦ .

٥٤- الديوان :ص٩٠.

٥٥-شفق: قصد به الاشفاق وتوقع المكروه اي الخوف،ينظر كتاب العين ، الفراهيدي ،مادة شفق ، فرق : الخوف الشديد . ينظر لسان العرب ،ابن منظور ،مادة فرق .

٥٦- لثق : ماء وطين مختلط ، ينظر كتاب العين ، الفراهيدي ،مادة لثق.

٥٧- دمق ثلج وريح تاتي من كل اوب ، ينظر كتاب العين ،الفراهيدي ،مادة دمق.

٥٨-المصدر نفسه ،ص١٢٩.

٥٩- المصدر نفسه ،ص١١٢.

٦٠-الطباق : الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى ، ينظر جواهر البلاغة، احمد الها شمي ،ص٣٦٦.

٦١-التصريع:من الوان البديع وهو ان يذكر الشاعر القافية في نهاية الشطر الاول من البيت الاول وكأنه يريد تهيئة الذهن لقبول القافية وهو يدلل على قدرة الشاعر وسعة فصاحته وإقتداره في بلاغته.ينظر : الطراز، العلوي، ٣٣/٣ .

٦٢-الترادف :انصراف لفظين او طائفة من الالفاظ الى معنى واحد او مسمى واحد ، ينظر : فصول في فقه العربية ، د. رمضان عبد التواب ، ص٣٠٩.

٦٣-الديوان :ص٦٩.

*المصادر

-القرآن الكريم

-اثار البلاد واخبار العباد ،ابو زكريا القزويني ،ت (٦٨٢هـ) ،دار صادر بيروت ١٩٦٩.
-البلاغة والتطبيق ، د. احمد مطلوب ، د.كامل حسن البصير ، بغداد ،ط١، ١٩٨٢ .
-تاج العروس من جواهر القاموس،محمد مرتضى الزبيدي ت(١٢٠٥هـ) ،مكتبة الحياة ،بيروت (د.ت).
-جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، احمد الهاشمي ، دار احياء التراث العربي ،بيروت ،ط١٢، (د.ت) .
-ديوان الثعالبي ،ابو منصور عبد الملك بن محمد ت(٤٢٩هـ) تحقيق محمود عبد الله الجادر ،ط١،دار الشؤون الثقافية ،بغداد ١٩٩٠.
-شرح شافية ابن الحاجب ،رضي الدين محمد ابن الحسن النحوي ت (٦٨٦هـ) ،تحقيق محمد نور الحسن ومحمد محي الدين عبد الحميد ،دار الكتب العلمية ، بيروت (١٣٩٥هـ) .
-شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد المعتزلي ،ت(٦٥٦هـ) ،تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ،داراحياء التراث العربية .
-الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ،العلوي اليمني ،مطبعة المقتطف ،القاهرة١٩١٤.
-العمدة في محاسن الشعر وآدآبه ونقده ،ابو علي بن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط٤، دار الجيل ، ، بيروت ١٩٧٢م .
-فصول في فقه العربية ، د. رمضان عبد النواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٨٠م .
-فن الوصف، ايليا حاوي ، ط٣، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٨٠م.
-فوات الوفيات ، محمد بن شاكر الكتبي ، تحقيق احسان عباس ،دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٣م .
- القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروز ابادي،دار العلم للجميع ،بيروت (د.ت).
- الكامل في التاريخ عز الدين علي بن محمد، ابن الاثير ت(٦٣٠هـ) ،دار بيروت ،بيروت ١٩٦٦.
-كتاب العين ،الخليل بن احمد الفراهيدي (١٧٥هـ) تحقيق د.مهدي المخزومي .ابراهيم السامرائي ،ط٢،مؤسسة الهجرة،(١٤٠٩هـ).
-لسان العرب ، ابو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور ،تحقيق امين عبد الوهاب ،محمد صادق العبيدي ، دار احياء التراث العربي ،ط٣، بيروت .د.ت.
-المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ، ابن الاثير ، تحقيق احمد الحوفي ،بدوي طبانة ، منشورات دار الرفاعي ، الرياض ،ط٢ ،١٩٨٣م.
-مجمع البحرين ،الشيخ فخر الدين الطريحي (١٠٨٥هـ) ،تحقيق احمد الحسيني ،ط٢، مكتب نشر الثقافة الاسلامية ،(١٤٠٨هـ) .
-معجم البلدان ،ياقوت الحموي الرومي ت(٦٢٦هـ) ،دار احياء التراث العربي ،بيروت ١٩٧٩.

–معجم ما استعجم ،البكري الاندلسي ابي عبد العزيز ت(٤٨٧هـ) تحقيق مصطفى السقا ،ط٣،عالم الكتب ،بيروت ١٤٠٣هـ.

– مصباح الفقيه، اقا رضا الهمداني ت(٦٨٦هـ)تحقيق محمد نور الحسن .محمد محي الدين عبد الحميد ،دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٥هـ.

– مناقب ال ابي طالب ، ابن شهراشوب المازندراني ت(٥٨٨هـ) تحقيق محمدكاظم الحيدري ،المطبعة الحيدرية ،النجف الاشرف ،١٣٧٦هـ.

– نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ،تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ،بيروت .د.ت.

– وصف الطبيعة وتطوره في الشعر العربي ، بيومي السباعي وجماعته ، مصر ،مكتبة النهضة ،مصر ، د.ت.

– الوصف في شعر العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين ،د. جميل سعيد ، بغداد ،ط١، ١٩٤٨م.

– يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر ، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ،ط٢ ،١٩٥٦م.